

Columbus
الجزائريون هم أول من اكتشف قارة أمريكا

عبدالقادر بوميدونة
صحفي.مكلف بالدراسات
بالمعهد الوطني للتكوينات البيئية
الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
مدير مركز واتا للدراسات والأبحاث البيئوية
عضو الجمعية الدولية للمترجمين واللغويين العرب
boumidkader@yahoo.fr

وادي الحجارة "Goidelaghara"

يقع هذا الوادي بدولة أمريكية لاتينية ، هل تعلمون أحبة الكتابة من اليمين إلى اليسار حكاية هذا الاسم؟ وما علاقته بما يؤكد عليه المؤرخون من أن الجزائريين هم أول من اكتشف قارة أمريكا ، وقد سبقوا **كريستوفر كولومبس** إلى ذلك بمئات السنين؟ هذا الخبر الذي قد يفاجئ كثيرا من الناس..لا يجوز لهم أن تستغربوه ، فهو حقيقة واقعة ، ألم يتم نفي وتهجير الكثير من الجزائريين إلى أقاصي البحار والمحيطات في مناطق مثل كاليدونيا وكايانإبان فترة الاحتلال للجزائر ؟!

لقد نشرتُ بجريدة "المساء" الجزائرية في بداية التسعينات من القرن الخالي تحقيقاً مفصلا عن هذا النبأ وعلى امتداد صفحتين كاملتين ، وموثق بمجلات متخصصة ودوريات عربية وغربية ، ومدعوماً بأحد أعداد مجلة "الباحث"[1] وبتوقيع أستاذ التاريخ الدكتور إبراهيم فخار ، الذي له بحث علمي دقيق في هذا الأمر ، وقد توصل علميا إلى أن اسم (البرازيل) لا وجود له في أية لغة من لغات العالم ، بما فيها اللغتان البرتغالية والإسبانية ، ماعدا اسم (بني برزل أو البرازلة) القاطنين بولاية المسيلة وضواحيها.

فبسبب نشوب عدة حروب داخلية طاحنة قبلية وطائفية قد عرفتها تلك المناطق في حقبة زمنية معروفة ، هاجرت هذه القبيلة إلى الأندلس هروبا من تلك الفتن المشتعل أوارها ، ثم استقرت بالبرتغال ، ثم لجأت إلى بعض الجزر الواقعة على ساحله الغربي بالمحيط الأطلسي ، ما تزال آثارهم بمغارات تلك الجزر قائمة حتى الآن ، ثم تاهت بهم السبل في عرض المحيط الأطلسي ، فوجدوا أنفسهم قد رسوا بسفنهم على شاطئ أرض جديدة بكر ، لم تطأها قدم من قبل ، فأطلقوا اسم قبيلتهم (البرازيل) عليها.

ما دفعني للبحث في ذاك الموضوع هو الخبر الذي طالعتنا به المذيعة التليفزيونية — آنذاك — السيدة زهية بن عروس ليلة الاثنين ٣٠مارس ١٩٨٧ عندما قالت: " لو طُرح علينا أحد سؤالا عمن اكتشف قارة أمريكا لقلنا على الفور أنه **كريستوفر كولومبس**" ، ثم طفقت تسرد تفاصيل الخبر الذي كان بحوزتها ومؤداه أن مجموعة من الباحثين الأمريكيين قد أثبتوا بالدليل على إثر عثورهم على نقوش حجرية تعود لألف سنة قبل تاريخ الاكتشاف المزعوم لكريستوفر أن الأوروبيين هم الذين بفضلهم تم " الكشف" عن هذه القارة.

عُدت إلى ما توفر لدي من مراجع وقمت بجمع كل الإشارات التي وردت في بعض الكتب والمجلات والتي تناولت بشيء من التفصيل هذه المسألة ، وها أنا أعرض بعضاً من ذلك أمام القراء كما نشرتها في جريدة "المساء" - آنذاك - أولاً لتعميم الفائدة وثانياً لدعوة من يهمه الأمر لمواصلة البحث في الموضوع الذي قد يراه البعض غير ذي أهمية ولكن الحقيقة العلمية التي أعتبرها حكمة هي ضالة المؤمن فأنى وجدها فهو أحق بها.

وعلى الرغم من رفض بعض الباحثين الغربيين لهذه الفكرة مقدمة ونتيجة[2] وعلى الرغم من انعدام المصادر فإن الإشارات النادرة في بعض المخطوطات والجرأة العلمية لدى بعض أساتذتنا تجعلنا نميل إلى الدكتور محمد حميد الله وغيره بأن اسم برازيل نفسه يرجع إلى اسم القبيلة البربرية المسيلية بني برازل أو البرازلة الذين هاجروا من المسيلة (الجزائر) في القرن العاشر الميلادي إلى الأندلس ومنه أيام ملوك الطوائف إلى أمريكا حيث انتهى بهم المطاف في برازيل.[3]

العرب وركوب البحر

يعتبر أهل الجزر وأشباه الجزر والمدن المطلة على البحار والأنهار والمحيطات هم أكثر الناس حباً وتعاملا وفهما للبحر ، وهم في نفس الوقت أكثر الناس مهارة وخبرة في صناعة السفن ، وحيث إن الجزيرة العربية تقع بين بحار ثلاثة هي البحر الأحمر غربا ، والمحيط الهندي جنوبا ، والخليج العربي من جهة الشرق ، فقد كان من الطبيعي أن يكون أهلها من ركاب وصناع وتجار السفن ، فقد ثبت أنهم كانوا يحملون تجارتهم بالبحر إلى كل من مصر وإيران وبلاد النهرين والبحرين وعمان ، وذلك قبل ثلاثة آلاف عام من ميلاد السيد المسيح عليه السلام ، كما هو واضح في النقوش السومرية والأكادية.

أيضا كان تجار ساحل الإحساء بالمملكة العربية السعودية يركبون البحر بتجارتهم إلى مدينة "سلوقية الواقعة على نهر دجلة. أما في القرن الثاني الميلادي ، فقد وجدت نقوش معينية وسبأية ، وذلك

---

(1) مجلة " الباحث " الجزائرية تصدر عن متحف المجاهد.

(2) أرنيست رينان ، مقالة في جريدة الشعب للسيد الدكتور سليم قلالة.

(3) نبذة عن وصول الأفارقة إلى البرازيل في مجلة الدوحة.

بجزيرة "ديلوس" الواقعة في بحر إيجة ، الأمر الذي يؤكد وصول العرب بسفنهم التجارية إلى الشواطئ الجنوبية للقارة الأوروبية.

المسلمون والأسطول

نكاد لا نصادف أخبارا تتعلق بالسفن أو ركوب البحر سواء قبل الإسلام بقليل أو في السنين الأولى للبعثة النبوية ، لكن ثمة واقعة مادية تتمثل في أول هجرة وقعت في الإسلام وهي هجرة السيد **جعفر بن أبي طالب** مع بعض المسلمين إلى الحبشة فراراً بدينهم الوليد – آنذاك – من طغيان قريش وبطشها ، ومحاولة لنشر الإسلام في إفريقيا انطلاقا من الحبشة ، وهذا يؤكد إقرارنا لصمت كتب التاريخ إزاء ركوب قريش للبحر قبل الإسلام وبعده بقليل.

أجل فقد كانت أشهر رحلاتهم للتجارة هي رحلة الشتاء والصيف إلى اليمن والشام بطريق البر. المعروف أنه لم تقع معارك بحرية أيام الرسول صلى الله عليه وسلم وكذلك في أيام أول الخلفاء الراشدين أبي بكر الصديق ، ويمكن القول أن أول معركة بحرية إسلامية قد حدثت في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك عندما أبحر عثمان بن العاص الثقفي والي البحرين - آنذاك - من عمان إلى ساحل الهند ، فوصل بلدة "تانة" القريبة من مدينة مومباي المعروفة ، غير أنه عندما كتب بغارته تلك إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب هَاله أن يتلقى منه رداً يعنفه فيه ويوبخه ويقول فيه :"يا أخا ثقيف حملت دوداً على عود وإني أحلف بالله لو أصيبوا لأخذت من قومك مثلهم". على أن هذا الرد القاسي من أمير المؤمنين يعني أنه كان شديد الخوف على المسلمين من ركوب البحر. أيضا يعتبر العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه هو أول من ركب البحر من المسلمين مجاهدا في سبيل الله.(٤)

وفي الأندلس كان المؤسس الحقيقي للأسطول العربي هناك هو الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠- ٣٥٠هـ)، في عام ١٤٩٥م أبحر فاسكو دي جاما حول رأس الرجاء الصالح ، وقبل ذلك بخمس سنوات كان **كريستوفر كولومبس** قد اكتشف الساحل الشرقي لقارة أمريكا الشمالية ، وفي عام ١٥١٩م اكتشف ماجلان قارة أمريكا الجنوبية وفي نفس الرحلة اكتشف جزر الفلبين.

الجدير بالذكر ؛ أن البحارة القدامى كانوا يركبون البحر دون استخدام لأية آلات أو معدات مساعدة ، ومن ثم فقد كانوا بالغي الحرص على أن يظلوا على مقربة من شاطئ البحر. ومع اختراع الإسطرلاب في حوالي عام ١٥٠ ق م أصبح بالإمكان قياس زاوية الجرم السماوي من مستوى الأفق ، الأمر الذي ساعدهم على الإبحار بامتداد خطوط الطول في الاتجاهات التي يبغون السفر إليها. وفي القرن العاشر الميلادي ابتكر الصينيون "البوصلة" المغناطيسية ، وبعد ذلك بمائتي عام (١٢٠٠م) استخدمها بحارة أوروبا ، ومنذ ذلك الحين أصبح بالإمكان الإبحار إلى أي اتجاه دون الاقتصار على الالتزام بخطوط الطول كما كان الحال بالماضي.(٥)

ليس هناك من شك في أن ؛ دراسات وبحوثا كثيرة تناولت في الدرجة الأولى هجرة الأفارقة إلى أمريكا اللاتينية وأشارت في الدرجة الثانية إلى موضوع استقرار بعض المغاربة لاسيما الجزائريين في أمريكا الجنوبية ، **والموضوع على جدته وطرافته يحتاج إلى مزيد من التمحيص وبعد النظر ويلزمه التحقيق والتدقيق**. وحيث أن هجرة الأفارقة

(٤) مجلة الفيصل عدد(٩١) ص ٩٥.

(٥) نفس المجلة والعدد ، ص ١٠٠.

والمغاربة موضوع مغمور ، فالرغبة الملحة في تقصي الحقائق العلمية تدفعنا إلى إلقاء بصيص من النور على هجرة أو وجود بني برزال المسيلة في البرازيل.

صلة العالم القديم بالجديد

ولكي نلغي أو نبعد على الأقل أسطورة **كريستوفر كولومبس** ثم نثبت عن طريق الأدلة المادية تعرف الأفارقة والمغاربة على العالم الجديد ، لابد من إلقاء نظرة تاريخية مختصرة ولو مقتضبة عن صلة العالم القديم بالعالم الجديد ، أي قبل اكتشاف **كريستوفر كولومبس** لأمريكا.

فعلى شاطئ البرازيل الشمالي وعلى بعد ٢٥٠ ك.م من (ريو دي جانيرو) اكتشف العمال البرازيليون عام ١٨٧٢م بلاطة منقوش عليها نص تاريخي يرجع إلى ألفين و خمسين عاما ، وقد أخذت صورة لهذه الوثيقة الأثرية ثم أرسلت إلى معهد العلوم التاريخية في البرازيل للتعرف عليها ودراسة محتواها وإعطاء القيمة التاريخية لها. وكان الذي انتدب لهذه المهمة العلمية أحد المتخصصين في الدراسات السامية ، وذلك هو أرنيست رينان الذي أنكر على الفور أصلها ومضمونها ، ولكن رينان عندما أنكر التعرف على هذه الوثيقة أو تعمد إخفاء الحقيقة كان مدفوعا في رأي العلماء النزهاء والموضوعيين بعاملين أثنين:

أولهما: **أن تفكير رينان لم يكن ليقبل هكذا و يسلم بسهولة على أن البرازيل أو أمريكا الجنوبية كانت بعد معروفة ومكتشفة قبل كريستوفر كولومبس.**

ثانيهما: **أن التعصب الديني الأوروبي جعل الكثير من الحقائق التاريخية المتعلقة بتاريخ أفريقيا والمغرب تظل مطمورة وفي طي الكتمان والغموض ، لاسيما إذا كانت الأدلة المادية والوثائق العلمية معدومة عن عمد.**

وإذا كان رينان وأضرابه من المفكرين الغربيين قد تجاهلوا هذه الحقيقة وحاولوا طمسها طيلة قرن كامل ، فهناك من الباحثين من تحدوهم النزاهة في البحث والرغبة الصادقة في الاكتشافات العلمية ، ويشير الدكتور إبراهيم فخار في هذا الموضوع إلى الأستاذ (سيريوس قوردون) عميد قسم الدراسات للبحر الأبيض المتوسط بجامعة برانديس الذي أصدر كتابا تحت عنوان "ما قبل كولومبس" ، وقد أوضح قوردون في هذا الكتاب الكثير من الحقائق التاريخية والاكتشافات الأثرية التي لم تعد اليوم لغزاً يمكن إخفاؤه أو إنكاره. وأهم الموارد التي اعتمد عليها المؤلف عند تعرضه لعلاقات أمريكا اللاتينية مع العالم الخارجي قبل كريستوفر كولومبس هي:

أولاً: الاعتماد على بعض النقوش التي عثر عليها في الحفريات والتي تتضمن العديد من المفردات السامية "يد بعل " التي يقصد بها القدرة الإلهية.

ثانياً: إن تسمية برازيل بجزيرة الحديد يعني أمرين:

(١) أن الفينيقيين الذين نقشوا محنتهم ورحلتهم على هذه الصخرة كانوا يعرفون أن المورد الأصلي والمعدن الأساسي الذي يعتمد عليه البرازيل هو الحديد.

(٢) أن اسم "برازيل" لم يأت إلا فيما بعد ، لاسيما وأنه اسم لم يرد له أصل في اللغة البرازيلية (الإسبانية) ولا في اللغات الأوروبية ، إلى جانب الاعتماد على هذه الحفريات التي ترجع إلى عهد ما قبل كريستوفر كولومبس ، فهناك العمل المشترك الذي قام به علماء الآثار والخرائط ، فقد جمعوا هم أيضا في أعقاب السنوات الأخيرة

مجموعة من الوثائق التي لم تدع مجالا للشك في وجود علاقات ما بين العالمين القديم والجديد وهذا في العصور المبكرة للتاريخ .

وقد عُثر في (جواتيمالا) على إناء تحرق فيه البخور وعليه نقش وجه سام يحمل الملامح والصفات التالية: (أ) أنف قان — (ب) شعر اللحية أجعد (وعلى طريقة الآشوريين) — (ج) وجه طلق المحيا .وحسب التحاليل العلمية لهذا النقش تبين أنه من عمل هنود أمريكا الوسطى "ماياس" وذلك في الفترة ما بين ٣٠٠ و٦٠٠ للميلاد.

وقد قام الدكتور إبراهيم فخار أستاذ التاريخ بإجراء بحث علمي قيم نشره في مجلة " الباحث " الجزائرية التي كانت تصدر عن متحف المجاهد، استعرض فيه مقارنات ثقافية ومادية عديدة بين عادات وتقاليد وأعراف سكان ساحل البرازيل الشرقي، من طقوس ومراسم دفن للأموات، وحفلات الأعراس والصناعات التقليدية، وبين سكان (بني برزل أو قبيلة البرازلة) الموجودة بولاية المسيلة، فوجد أنها متطابقة تمام التطابق بالإضافة إلى تشابه آخر كبير في ميادين أخرى، لا يتسع المجال لذكرها.

فعلى المعنيين والمهتمين من المؤرخين والطلبة مواصلة البحث في هذا الموضوع، وسوف يزيلون - بإذن الله - كثيراً من الغبار والأكسدة عن صفحات مجيدة من تاريخ أمتنا العظيمة.

وأخيراً؛ هذا يعني أن اللاعبين العالميين رونالدو ورونالدهينو هما برزاليان ومسيليان مئة بالمئة ..
تلك أمجاد ومآثر أجدادنا صدقوا أو لا تصدقوا.

المراجع

- لغز القارة الغارقة، مجلة "الدوحة" ص:٢٨ عدد ١٠٠
- جزائر " الواق واق" مجلة "الدوحة " ص: ١٣٠ عدد١١٢
- جزيرة الساء مجلة "الدوحة " ص : ٧٤ عدد١١١
- جمهوريات الجزر في المحيط الهندي ص : ١١٠ عدد ١١٠
- السفن وركوب البحر مجلة "الفيصل" ص: ٩١

مقال وتعليق
من اكتشف أمريكا

تزايدت الدراسات التاريخية الموثقة التي تؤكّد أن الرحّالة المسلمين سبقوا كريستوفر كولومبس لاكتشاف الأمريكتين وتزايدت معها التساؤلات حول إمكانية تغيير المعلومة التي تقول: إن أول من اكتشف العالم الجديد (القارة الأمريكية) هو الرحالة الإيطالي كولومبس ليقال: إن المكتشف الحقيقي هم المسلمون؟

فقد أصدر الدكتور يوسف ميروا في دراسة حديثة بالإنجليزية تفيد أن كثيرًا من المؤرّخين يؤكدون أن المسلمين وصلوا إلى شواطئ أمريكا قبل كولومبس بـ ٥٠٠ عام، ويستدلون ابتداءً بما ذكره الجغرافي والمؤرخ المسلم المسعودي في كتابه "مروج الذهب ومعدن الجوهر" من أن بحارًا مسلمًا يدعى ابن سيد القرطبي أبحر من الشاطئ الغربي للأندلس في عام ٨٨٩ م وسار في اتجاه مستقيم حتى وصل إلى شاطئ كبير رجع منه محملاً بكنوز كثيرة، أيضًا رسم المسعودي في خرائطه مناطق في المحيط الأطلسي (غرب القارة الإفريقية والأوروبية) سماها الأرض المجهولة. وأما كولومبس نفسه فقد ذكر في رسائله ومذكراته إشارات تصلح للاستدلال؛ إذ أورد أنه رأى جزيرة حمراء (في رحلاته لأمريكا) يحكمها رجل عربي ينادى بأبي عبد الله، كما اكتشف أن أهالي جزيرة سان سلفادور يتكلّمون ببعض الكلمات ذات العربية مع بعض التحريف في النطق، وذكر أنه رأى في الهندوراس قبيلة سوداء مسلمة يطلق عليهم لقب إمامي. وفي مذكراته الشخصية ذكر كولومبس أنه شاهد مسجدًا في كوبا فوق رأس جبل، كما أن الأسلحة التي يستخدمها سكان هاييتي هي نفسها التي كانت تستعمل في إفريقيا.

وقد كتب المؤرّخ الأمريكي وينر (يشغل منصب أستاذ للتاريخ بجامعة هارفرد) يقول: "إن كولومبس فهم أنه كان يوجد مسلمون في العالم الجديد، وانحدروا من غرب إفريقيا، وانتشروا من الكاريبي إلى مناطق مختلفة في شمال وجنوب أمريكا، وأضاف وينر أن مجموعات من هؤلاء التجار تزاوجوا مع هنود الأمريكتين". ويضيف الدكتور يوسف أن العديد من المصادر الإسلامية تحدّثت عن رحلات بحرية تمّت في المحيط الأطلسي مثل كتاب الإدريسي "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" و"مسالك الأبصار في ممالك الأمصار".. وفي كتابه "قصة أمريكا" أورد المؤرخ باري نيل الكثير من الأدلة (بلغت ٥٦٥ تسجيلاً) تشير لتواجد المسلمين في أجزاء من أمريكا، ومن بين هذه الأدلة خرائط وآثار وأسماء عربية مثل مكة (اسم لقبيلة هندية)، ومنى وأحمد ومحمد والمرابطين، إضافة إلى كثير من العادات والتقاليد التي تؤكّد وجود اتصال بين هنود أمريكا والمسلمين العرب.

أيضًا ذكر (إفن سيرتيما) في كتابه "جاءوا قبل كولومبس" عددًا من الأدلة على وصول أفارقة إلى أمريكا. ولم يفت الباحث أن يستشهد بما كتبه المستشرق الإنجليزي دي لاسي بما أورد في كتابه "الفكر العربي ومكانه في تاريخ الغرب" حيث ذكر الرحلات التي قام بها المسلمون في عام ١٣١٢م، وهي روايات صحيحة مقارنة بما كان عند المسلمين في تلك الفترة من خبرة واسعة في الملاحة البحرية، وأكّد أنه لا يوجد شك من وصولهم في أمريكا قبل كولومبس. ثم تساءل الباحث حول اليوم الذي سيعود فيه هذا الاكتشاف إلى أصحابه.

ولا ننسى أن كولومبس اعتمد في رحلته على تقنيات إسلامية من خرائط بحريه وغيرها.

www.alshaghar.com